التعريب بين النظرية والتطبيق

بقلم : محمد السيد علي بلاسي

إن تبادل التأثير والتأثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، وإن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة لا تحصى... والعربية في هذا المضمار ليست بدعا من اللغات الانسانية، غير أنها تفترق عنها : ببراعتها في تمثلها للكلام الأجنبي، عن طريق صوغه على أوزانها، وإنزاله على أحكامها، وجعله جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها..

ولعل العامل الرئيسي في دخول الكلام الأعجمي في اللغة العربية يرجع إلى : «ما أتيح للشعوب الناطقة ــ من قبل الاسلام ومن بعده ــ من فرص للاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى، وما نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبعي للحضارة العربية من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل، في ميادين الاقتصاد والصناعة والزراعة والتجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين ومختلف مناحي السياسة والاجتماع»[1] ؛ فكان من الضروري نتيجة لهذا الاحتكاك : تبادل المصطلحات العلمية، واقتراض مسميات الأشياء التي توجد في أمة ولا توجد في الأخرى منهما؛ مما اضطر العربي ــ حتى يساير موكب الحضارة ــ أن يستخدم اللفظ الأجنبي، بعد ما يطوعه للغته؛ فيعربه، وبذلك يصير اللفظ عربيا، يضاف إلى لغته، كما يضم إلى ألفاظه فيستعمله ؛ وهكذا دخلت كثير من المفردات الأجنبية في اللغة العربية.

فالتعريب ــ إذن ــ هو : أن تتفوه العرب باللفظ الأجنبي على منهاجها وطريقتها...

الداعي إلى التعريب :ــ

1 ــ الضرورة : وقد تحدثت عنها آنفا.

2 ــ خفة اللفظ الأجنبي في النطق من نظيره

(1) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 199، 200، ط. دار نهضة مصر.

العربي : وذلك مثل (المسك) بدلا من (المشموم)، و(التوت) بدلا من (الفرصاد)، و(الياسمين) بدلا من (السمسق والسجلاط)، و(الخيار) بدلا من (القثد)....

3 ــ إعجاب أمة بأخرى فتقتبس منها بعض ألفاظ لغتها.

4 ــ الرغبة في الافتخار وحب الظهور : فقد يتكلم المرء بالكلمة الأجنبية ؛ ليظهر أمام الناس بأنه يجيد لغات أخرى غير لغته[2]...

طريقة التعريب :ــ

لقد سلك العرب في تعريبهم للكلمات الأعجمية التي استعملوها طريقتين :ــ

الطريقة الأولى : التغيير في أصوات الكلمة وصورتها بما يوافق ألسنتهم وأبنية كلامهم : حفظا لألسنتهم من لكنة العجم، فيتناولون اللفظ الأعجمي فيصقلونه ويهندمونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم، فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم[3].

وهذا التغيير قد أخذ عندهم صورا أشهرها :

1 ــ تحريف في الأصوات : كأن يكون بإبدال حرف من حرف مثل : جورب، وأصلها الفارسي : كورب، وتعني : لفافة الرجل.

أو يكون بزيادة حرف مثل : ديباج، وأصلها الفارسي : ديبا.

أو يكون بنقصان حرف مثل : نشا، وأصلها : نشاسته.

أو يكون بتحريك ساكن مثل : كازرون ــ اسم مدينة وهي في الفارسية بسكون الزاي، فينطقونها : كازَرون.

أو يكون بإبدال حركة مثل : دستور، وهي في الفارسية بفتح الدال، غير أنها تعرب بضمها نظرا لأنه ليس في لغة العرب كلمة على وزن فَعلول إلا نادرا.

2 ــ تحريف في الأوزان : ويحدث هذا نتيجة للتحريف في الأصوات، وذلك إن بزيادة حرف على أحرف الكلمة الأعجمية أو نقصان حرف منها، أو إبدال حركة بحركة أو حرف من حرف، أو تحريك ساكن، كل ذلك يؤدي لا محالة إلى انحراف وزن الكلمة الأعجمية عن وضعه القديم، وقد أدى هذا الانحراف بكثير من الكلمات الأعجمية أن أصبحت أوزانها على غرار الأوزان العربية، وذلك مثل كلمات : درهم وبهرج ودينار وديباج وجورب فقد أصبحت، بفضل ما دخلها من التغيير، على أوزان كلمات عربية مثل : هجرع (وهو الأحمق) وسهلب (الرجل الطويل)، وديماس (وهو الحمام)، وجَهور (وهو الفرس الذي ليس بغليظ الصوت ولا أغنّه)[4].

وهذا القسم الذي وقع فيه التغيير يعرف عند علماء اللغة باسم «المعرّب». فالمعرب ــ إذن ــ هو : اللفظ الأجنبي الذي استعملته العرب بعد تطويعه للغتهم سواء بالزيادة أو النقص أو القلب أو الالحاق.

الطريقة الثانية : وهي إدخال الكلمة الأجنبية بصورتها في العربية دون تغيير، ويعرف هذا باسم «الدخيل»، وذلك مثل : خراسان، وإبريسم، وتليفون.

---

(2) د. إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة، ص 43 ــ بتصرف يسير ــ ، ط. الأمانة.

(3) المرجع السابق : ص 43.

(4) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 204، 205 ــ بتصرف ــ

غير أن هناك كثير من الكلمات الأجنبية قد تغير مدلوله في العربية عما كان عليه في لغته الأولى. فبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين، وبعضها انحط إلى درجة وضيعة في الاستعمال فأصبح من فحش الكلام وهجره مع أنه ما كان يستعمل في لغته الاصلية على هذا الوجه، وبعضها سما إلى منزلة راقية فأصبح من نبيل القول ومصطفاه، وبعضها قد عمم مدلوله الخاص فأصبح يطلق على أكثر مما كان يدل عليه، وبعضها قد خصص معناه العام وقصر في العربية على بعض ما كان عليه، من ذلك مثلا : الجون، فإن معناه في الفارسية : اللون على العموم، ولكنه قصر في العربية على الأبيض والأسود.

مقاييس العجمة :ـــ

لقد وضع بعض علماء اللغة علامات عامة، بها تعرف الكلمات الأعجمية، من هذه العلامات :

1 ـــ أن تكون الكلمة مخالفة للأوزان العربية، مثل : إبريسم، أمين، جبريل.

2 ـــ أن تكون الكلمة فاؤها نونا وعينها راء، مثل : نرجس، نرد، نورج.

3 ـــ أن تنتهي الكلمة بدال يعقبها زاي، مثل : مهندز، الهنداز.

4 ـــ أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم، مثل : الصولجان، الجص، الصنج.

5 ـــ أن تشتمل الكلمة على الجيم والقاف، مثل : المنجنيق، الجوسق، الجوقة.

6 ـــ أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة (وهي الميم والراء والباء والنون والفاء واللام) مثل : جوسق، عقجش، حظائج.

7 ـــ أن تكون الكلمة مبنية من باء وسين وتاء. فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل(6).

8 ـــ أن تجتمع في الكلمة الجيم والطاء، مثل : الطاجن، والطيجن.

9 ـــ أن ينقل عن أحد من أئمة العربية أن الكلمة المعنية أعجمية(7).

أطوار التعريب :ـــ

لقد قسم العلماء الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية إلى أطوار ثلاثة :

1 ـــ المعرب : وهو ما استعمله العرب الفصحاء من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها(8).. وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج(9).

ويدخل في هذا الطور جميع الكلمات الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

2 ـــ المولد : وهو ما استعمله المولدون (وهم الذين ولدوا بعد عصور الاحتجاج) من ألفاظ

---

(5) انظر المرجع السابق : ص 205 وهامشها.

(6) العلامة أبو منصور الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص 60، ط 2 ـــ دار الكتب المصرية 1389 هـ.

(7) العلامة السيوطي : المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين 1 / 270، ط 3 ـــ دار التراث.

(8) المصدر السابق : 1 / 268 ـــ بتصرف يسير ـــ

(9) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 199.

أعجمية لم يعربها فصحاء العرب. مثل : ترجم الرسالة، وبيض الكتابة.

3 ــ المحدث أو العامي : وهو ما عربه المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة العامة. (والمحدثون هم الذين عاشوا بعد المولدين إلى أيامنا هذه).

وتمييز المولد من المحدث صعب، لعدم الاتفاق على سنة معينة ينتهي عندها عصر المولدين ويبدأ بها عصر المحدثين، ثم لصعوبة معرفة الوقت الذي ظهرت فيه اللفظة المولدة أو المحدثة..[10].

موقفنا من التعريب :ــ

لاخلاف بين العلماء في جواز استعمال المعرب، وهو ما استعمله فصحاء العرب من كلمات دخيلة. وقد ورد كثير من الألفاظ المعربة في القرآن الكريم نفسه[11] وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور، وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو المصطلحات العلمية والفنية، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله إلا عند الضرورة، لأن اللغة العربية يمكن أن تخصص ألفاظا من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون، ولن يرهقها هذا من أمرها عسرا : حيث إن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة والمستعملة، مما يصلح أن يوضع لهذه المسميات الحديثة، ولنا بهذا الصدد أسوة حسنة فيما فعله العرب أنفسهم في صدر الاسلام والعصر العباسي، وهذه إحدى الغايات الجليلة التي يعمل على تحقيقها «مجمع اللغة العربية»[12].

ولله در حافظ إبراهيم إذ يقول على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي
فياويحكم أبلى وتبلى محاسني
وفيكم ــ وإن عز الدواء ــ أساتي ؟!

هذا، وقد ذكر الدكتور / صبحي الصالح ــ في كتابه «دراسات في فقه اللغة» ــ شروطا لابد من مراعاتها عند القيام بالنقل والتعريب وهي[13] :

أ ــ ألاّ نلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة، انسجاماًمع القرار الحكيم الذي اتخذه مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونصه : «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم». وقد علق الأمير الشهابي على قيد «الضرورة» بقوله : «أرى أن قيد «الضرورة» الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة : أقول هذا لأنني عارف بسخافات بعض أساتيذ العلوم الحديثة، الذين عربوا ألفاظا علمية أعجمية، كان في استطاعتهم أن يجدوا لها ألفاظا عربية مقبولة بقليل من الجهد، ومن

(10) د. إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة، ص 46، 47 ــ بتصرف ــ.

(11) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع، راجع للكاتب : المجلة العربية، العدد (91) شعبان 1405 هـ، ص 98، 99.

(12) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 207، 208، 250،، فراجعها تجد مزيدا من التفصيل.

(13) د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 321 ــ 327، الطبعة العاشرة ــ دار العلم للملايين.

المعرفة بأصول تلك الألفاظ الأعجمية وبمعانيها»[14].

ب ــ أما قبل تحقق هذه الضرورة فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب، إذا تحرى الناقل العليم بأسرار العربية اللفظ العربي الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي.

فنحن نترجم مثلا : Microscope : بالمجهار، و Densimètre : بالمكثف، و Floriculture : بزراعة الأزهار، وهكذا....

ج ــ الكف عن استعمال اللفظ المعرب إذا كان له اسم في لغة العرب، إحياءً للفصيح وقتلاً للدخيل.

د ــ أن نحاول ــ كلما اضطررنا إلى التعريب أن ننزل اللفظ المعرب على أوزان العربية، حتى يكون عربيا أو بمنزلته.

هـ ــ ولا مانع من النحت إذا اضطررنا إليه في تعريب المصطلحات العلمية والفنية، ولكن عند الضرورة القصوى.

فالطريقة المثلى ــ إذن ــ في نقل مدلولات المكتشفات الأجنبية والاختراعات العلمية والاصطلاحات في شتى المجالات، هي : ألا نلجأ إلى التعريب ــ وهو أشدها خطرا على لغتنا الخالدة ــ إلا بعد أن نكون قد بذلنا الجهد في كل وسيلة قبلها، فالترجمة أولا، فإذا لم يوجد للفظ الأجنبي مقابل عربي فاشتقاق ثانيا، فيشتق لفظ من كلمة عربية تؤدي معنى المسمى، فإذا عجزنا فالمجاز ثالثا فيتجوز للفظ مجاز بعلاقة في المعنى بين المسمى والمجاز، فإذا عجزنا ننحت للكلمة لفظا مركبا من كلمتين يؤدي معناهما مدلول الشيء المسمى، فإذا عجزنا نعرب اللفظ الأجنبي تعريبا مطابقا لقواعد اللغة، ونصقله وفق أوزان لغتنا ومنطق لساننا، حتى يشبه اللفظ العربي الفصيح؛ وبذلك نترك اللغة العربية للخلف من بعدنا كما تركها لنا آباؤنا الأولون[15].

وإننا على يقين من أن نقلة العلوم الحديثة في هذا العصر إذا وضعوا ما ذكرنا، من الشروط نصب أعينهم خدموا لغتهم أخلص خدمة، وعبروا عن خصائصها أصدق تعبير، فما هي باللغة الجامدة الميتة، بل هي اللغة المرنة المطواع التي كتب الله لها النماء والبقاء والخلود..[16]

---

(14) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص 63، ط. معهد الدراسات العربية العالمية سنة 1955 م.

(15) د. إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة، ص 50 ــ بتصرف يسير ــ

(16) د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 327.